عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد01 - جوان 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال: 10.54239/2319-022-001-010(DOI)

سيرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ومنهجه في الوصول إلى الله (1077 ـ/1166م).

The biography of Sheikh Abdul Qadir Al -Jilani and his (approach to reaching God (1077 - 1166 AD)

ط.د.مصطفى خروس*
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس/ الجزائر
Kharous.mustafa@yahoo.com
أ.د. سمية لوافي
جامعية جيلالي ليابس - سيدي بلعباس /الجزائر
louafisoumia22@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/12 تاريخ المراجعة: 2023/01/30 تاريخ القبول:2023/04/28

الملخص:

اختلف الكتابات التاريخية حول أصل التصوف ومفهومه إلا أنّ المتفق عليه هو الهدف من التجربة الصوفية الموصلة إلى عبادة الله والإخلاص له، ويعد الشيخ عبد القادر الجيلاني أحد أعلام التصوف الأصيل، ساهم في ميلاد وبعث السلوك الصوفي من جديد المتماهي مع الوحي القرآني والخطاب النبوي. في زمن كانت الأخطار تحيط بالعالم الإسلامي من كل الجهات شرقا وغربا ، إضافة إلى الصّراع حول الحكم داخل الدولة العباسية.

يقف المدقق والمتمعن على ذللك التواصل بين الأحوال والمقامات الصوفية القادرية مع تراثنا الديني النبوي والصحابي ذو النبع الصافي الذي استسقى منه السّلف الصالح، ومن بلاد بغداد حاضرة العلم والعلماء برز اسم الشيخ الجيلان وسطع نجمه في الأفاق، فتهافت عليه الطلبة والفقهاء من كل مكان يطلبون علمه وطريقته، ومن مدرسته ورباطه في بغداد ، بدأت سبل الموعظة والذكر والنصح ، والعلم ووصلت شهرته الى كل مكان وانتشرت طريقته

* ط.مصطفى خروس- جامعة سيدي بلعباس/ الجزائر

القائمة على قواعد وأصول متينة واكتسحت أرجاء الأرض لما تحمل من رسالة دينية وتربوية وتعليمية وتهذيبية للنفس ، وخلف بعد وفاته الكثير من الكتب في مجال الزهد والتصوف.

تهدف دراستنا إلى التعريف بالنموذج القادري ، والطريق الصوفي الأصيل الذي رسمه للوصول إلى الحقيقة من خلال المنهج التاريخي التحليلي .

كلمات مفتاحية: الشيخ ؛عبدالقادر الجيلاني؛ الطريقة؛ الزهد ؛ الحقيقة ؛المريد؛ التصوف. المنهج .

Abstract:

The writings of historians differed on Sufism and its concept, but the agreed topic is the goal of the mystical experience that leads to worship and devotion to God. At a time when dangers surrounded the Islamic world from all sides, east and west, in addition to the struggle for power within the Abbasid state.

The meticulous researcher stands on this link between the values of Qadiri Sufism and our prophetic religious heritage, and the latter is the pure source from which scholars took it, and from the capital, Baghdad, the name of Sheikh Al-Jilani appeared until his star shone. On the horizon, students and jurists flocked to him from everywhere, seeking his knowledge and methodology. His school and association were also in Baghdad. A place for preaching and knowledge until his fame everywhere, and his approach was based on sound rules spread everywhere in the world because his message had religious and educational objectives, sublime reform, and after his death I left him. many books. In the field of asceticism and mysticism.

Our study aims to introduce the Qadiri model, and the original Sufi path that it follows to reach the truth through the historical and analytical approach.

Keywords: Sheikh; Abdul Qadir Al-Jilani; method; asceticism; truth; student ; Sufism. Curriculum

- **مقدمة :**

يعتبر التصوف رغم تعدد مناهله ومصادره تراث إسلامي يخزن تاريخ وثقافة المجتمع الإسلامي، يقتضي مزيدا من البحوث والدراسات لإستكناه جوهره ومدلولاته

وتوظيف أفكاره التي تعلو بالروح في أفق الزهد خاصة ونحن اليوم نعاني من افرازات التطور المادي حرّفت سلوك وعقيدة المسلم.

هناك نموذج صوفي حاضر بقوة في المخيال الجمعي والفردي لدى المسلمين في المشرق والمغرب يتمثل في الشيخ عبد القادر الجيلاني المشهور بسيرته وبمنجهه الصوفي المؤثّر بشخصيته وبأفكاره ،والتي نجدها في الكثير من الطرق والزوايا الصوفية إلى غاية اليوم، ويشذ الجيلاني عن النمط الصوفي المنحرف الذي انتشر في بلاد المسلمين والمتأثّر بمختلف التيارات والفسفات و الثقافات الوافدة على العام الإسلامي منذ القرون الهجرية الأولى .

فالمنهج القادري مستوحى من القرآن والسنة ،وتتضح مبادئ وتعاليم طريقته من خلال مؤلفاته وتاريخ شخصيته ولذلك يجد فيها المريد والطالب زاده العلمي لمواصلة سبيل الشيخ الجيلاني الموصل إلى العبادة الحقة لله تعالى. وهذا ما يدفعنا للسؤال التالي: ـ إلى أيّ مدى أثّرت سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني في مختلف ربوع العام الإسلاميّ؟ وكيف استطاع النفوذ و الوصول إلى وجدان المسلمين؟ وما لسبيل للوصول الى عبادة الله؟

انطلاقا من الإشكالية نفترض أن الشيخ عبد القادر الجيلاني انطلق من قاعدة القرآن الكريم والسنة النبوية ،لبلوغ مقام ربه وعبادته نشدانا للفلاح في الدنيا والآخرة.

للإجابة على ذلك وفق منهج تاريخي تحليلي سنتحدّث في هذه الدّراسة عن حياته وشخصيته ،المؤثّرة الممتدة في وجدان و مخيال المجتمعات العربية والإسلامية و كيفية الوصول إلى الله بالذكر والموعظة والإحسان والإخلاص ، وعن مبادئ وتعاليم طريقته وما خلفه من تراث فكري وديني

1ـ عبد القادر الجيلاني مولده ونشأته بين جيلان وبغداد :

هو أبو صالح السيد محي الدين عبد القادر بن السيد ابي صالح موسى بن السيد عبد الله الجيلاني بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد المدني بن السيد دواد أمير مكة بن السيد موسى الثاني بن السيد عبد الله أبي المكارم بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله المحض بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن السبط بن أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (الشطنوفي، 2013)،ونجد اختلاف واضح في تاريخ ومكان ميلاد الشيخ عبد القادر الجيلاني، إلاّ أنّ الدراسات الحديثة والعائلة الكيلانية تُرجّح سنة 470 هـ الموافق ل1077ميلادي لميلاد الشيخ (الشطنوفي، 2013)،وهو ما يتوافق مع الشطنوفي وهو أحد معاصريه حيث جاء في كتابه بهجة الأسرار :"ولد الشيخ عبد القادر الجيلاني في 11 ربيع الثاني وهو الأشهر سنة 470هـ الموافق ل1077م" (الشطنوفي، 2013) ويتفق معظم المؤرخين على أن عبد القادر الجيلاني توفي عام 561هـ، و هذا ما يؤكده حفيده اليوم وهو الدكتور الباحث صالح الكيلاني حيث رجّح نفس التاريخ وكان لنا معه اتصال بشأن ذلك وهو ما اعتمدناه حسب أقواله .

كما تضاربت الكتابات التاريخية بشأن مكان الولادة فهناك رأي يقول أنّه ولد بجيلان أو كيلان (الكيلاني، 1994) وهي منطقة تقع في الشمال الإيراني اليوم، أمّا الرأي الأخر فيقول أنه ولد في جيلان العراقية وهي قرية تقع قرب المدان بجنوب العراق (الكيلاني، 1994) نشأ في عائلة ذات زهد وصلاح ، وتربى طفلا محبا للعلم والعلماء وشبّ في ببيئة صعبة إلا أنّه تحدّى كل ظروفها القاسية لتحقيق ما كان يصبو إليه وكان والده من كبار علماء جيلان ، وأمه هي ابنة عبد الله الصومعي الذي اشتهر بالزهد والعلم .

نهل العلم منذ البداية داخل محيطه الأسري بعد ذلك شدّ الرّحال نحو بغداد مواجها مشقة وعناء لطلب العلم من علمائها و فقهائها، وكان عمره أنذاك12 سنة عام'488هـ الموافق 1095ملادي ،وصلها في فترة ضعف الحكم العباسي ،وبروز التهديدات الصليبية للمشرق من جهة والصراعات الداخلية على الحكم من جهة أخرى.

تزوج عبد القادر الجيلاني وأنجب العديد من الأولاد بلغ عددهم تسع وأربعون ولدا من هم : عبد العزيز بن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر (ت602هـ) كان من أهل العلم والوعظ والفقه وحارب مع جيش صلاح الدين الأيوبي وعبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر (522هـ 593هـ) الفقيه الحنبلي والواعظ (فالح، 2014، صفحة 50) وعيسى بن الشيخ عبد القادر (ت593) فقيه وصوفي، ألّف كتاب جواهر الأسرار ولطائف الأنوار في علوم الصوفية ،زار مصر وتوفي فيها، وعبد الرزاق بن الشيخ عبد

القادر (603.528)اشتهر بالزهد والورع والعبادة ،ومارس التدريس والإفتاء (فالح، 2014، صفحة 50). والدارس لسيرة الشيخ الجيلاني يجد سلسلة طويلة من الأبناء والأحفاد تمثلوا رسالته في الزهد و الوعظ والفقه والعبادة منذ القرن السادس الهجري وانتشروا في ربوع العالم الإسلامي وعاش عبد القادر الطفل حياة الفقر واليُتم و كانت أمه زاهدة وتقية، وتربّى على يد جدّه عبد الله الصومعي الزاهد والعابد فاستمد مكارم الأخلاق من تقوى وصلاح منه، فحصل له شغف بزيادة تحصيل العلم والفقه، وكان في سيرته ومسيرته إمام صوفي وفقيه حنبلي كّرس حياته للعلم والفقه والعبادة والصلاح .

2.علمه وتصوفه :

من عادة بلاد العراق إنجاب العظماء من أهل الفقه والعلم، وهي أرض الحضارة العريقة الممتدة لآلاف السنين، فكان حضورها عبر العصور بفضل ما تزخر به من علم فتحوّلت إلى عاصمة للعلم والعلماء في العهد العباسي.

ولم تكن منطقة جيلان مناسبة لتحقيق طموحه وفضوله العلمي فولى وجهته نحو بغداد في ريعان شبابه، بعد أن جهّزته والدته وقدمت له مبلغ أربعين دينارا لتعينه على أعباء السّفر وقضاء حوائجه في الطريق، وينقل المؤرخون قصّة اللّصوص الذين اعترضوا القافلة التي كان معها وتوبتهم على يدي (الرزاق، 1994، صفحة 98-99) وبعد وصول عبد القادر الجيلاني بغداد في فترة حكم الخليفة العباسي المستظهر بالله،حيث عاصر الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد خمسة خلفاء عباسيين هم: المستظهر والمسترشد(حكم من 512 الى529هـ) والراشد (من 529 الى 530هـ) والمقتفي (من 530الى 555هـ) والمستنجد(من 555إلى 566هـ)، (الرزاق، 1994، صفحة 101) و استقراره بها ،ولَج مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج في. أقصى الشرق من جانب الرصافة وأثنى الشيخ ابن تيمية على عبد القادر الجيلاني وأعتبره أحد الشيوخ الكبار الذين يأمرون بالمعروف وينهون على المنكر وفق القرآن والسنة النبوية " ولهذا يأمرون بما هو مستحب غير واجب وينهون عما هو مكروه غير محرم" (تيمية، 2004، صفحة 464.) ،

اقتضي تحصيل العلم جملة من الخصال والصفات كالصبر ، تحمُّل التعب و المشقة والجوع والمثابرة والحرص على النجاح ،كان شديد الحرص على مواصلة تعليمه رغم الفاقة التي كان يعاني منها وهو في بغداد بعد نفاذ ما كان يملكه من مال، ولم يجد ما يُعيل به نفسه إلا العيش من بقايا الطعام على ضفاف نهر دجلة ،كان يمشي بقدمين حافيتين على الشوك، وينام في البرية، ونظرا لهذا الابتلاء نظر إليه الناس في بغداد نظرة استخفاف وازدراء ضنا أنّه مجنون لكن صبره وعزيمته وتوكله على الله جعل منه شخصا قوي يكابد المحن وينتصر عليها ويمضي إلى تحقيق هدفه. و الطريق الذي سلكه الشيخ الجيلاني هو في الغالب لا يختلف عن طريق الشيخ أبي حامد الغزالي الذي خرج من بغداد سنة 488م في رحلة البحث عن حقيقة الحياة والكون ولم يعد إليها إلا سنة 499 هـ ووافته المنية سنة505هـ (الرزاق، 1994، صفحة 106)فكلا منهما كانا ينهلان من مصدر واحد هو القرآن والسنة واستطاعا الارتقاء من عالم المادة إلى عالم الروح، بسلوك طريق الزهد والورع.

إنّ الطريق الصوفي الذي سلكه الشيخ الجيلاني يتسم بالاعتدال بعيدا عن الغلو والتعصّب والفرقة وهو ما يندرج تحت ما قاله ابن تيمية " مذهب الصوفية أقرب ما يكون أنّه مبني على الاستحسان" (العريفي، 1430، صفحة 217) عكس ما هو رائج في مذاهب التصوف الأخرى التي تجد جذورها في الفلسفات والعقائد المسيحية والبوذية والأفلاطونية (Field, 2008, p. 3).

انطلق الشيخ الجيلاني من عقيدة واضحة وبيّنها في مجالس الذكر والوعظ التي كان يعقدها وكان اعتقادهم اعتقاد السّلف الصالح والصحابة، وهو بذلك يشير إلى أصالة المصدر وصفائه، فإنْ صحّت البدايات صحّت النهايات،وفي منهجه العلمي والتربوي والسلوكي يدعو للتقوى والالتزام بحدود الشرع ومخالفة النفس والهوى ،والتغلّب على الشيطان ،والعُلماء هم ورثة الأنبياء" **فلما قبضهم إليه أقام العلماء العمال بعلمهم فينطقهم بما يصلح الخلق نيابة عنهم** " (الرزاق، 1994، صفحة 12) فالشيخ الجيلاني بمنزلة عالم وفقيه السّالك لطريق الزهد و الفقر، و قد علم أنّ طلب العلم فريضة على المسلم، فشمّر عن ساعده، فسارع قاصدا وجهة العلم في بغداد، ناهلا من فقهائها

وعلمائها الأجلاء، فبدأ بقراءة القرآن حتى حفظه عن ظهر قلب، وتمكّن في الحديث والفقه وعلوم التصوّف على يد مجموعة من الشيوخ مثل: أبو السعيد المخرمي ،أبي زكريا يحي بن علي التبريزي، أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي،حماد بن مسلم الدباس ـ أبو عبدالله يحي بن الإمام أبو علي الحسن ابن احمد بن البناء البغدادي الحنبلي.

يعود الفضل الكبير في تربية الشيخ الجيلاني وتلقينه مبادئ وأصول التصوف والعلوم لشيوخه وفقهائه، فصار عَلَما مشهورا في بغداد وخارجها يزورنه من كل فج عميق في مدرسته التي ورثها عن الشيخ المُخرمي ،والرباط الذي بناه بجانبها، فكان له برنامجه التدريسي، ونظامه التلقيني ،وطريقته الصوفية ومنهجه التربوي في إعداد الطلبة وتكوينهم في الجوانب الرّوحية والعلمية والاجتماعية، وثبت عنه أنّه تكلّم في ثلاثة عشر علما، تلقّن علوم اللغة والشريعة والتفسير والمذهب. واستمر في تقديم الدروس للطلبة وعامّة النّاس حوالي ثلاث وثلاثين سنة وكان يفتي على مذهب الشافعية وأحمد بن حنبل ، تأتيه الفتوى من كل البلاد فيقرأها ويعقب عليها ويرسلها.

سلك طريق القرآن وهو طريق العلم (Achulhoob, s.d, p. 17) واستمر عليه وهو شيخا في نفس الوقت يقوم على الانقياد لله تعالى والاحتكام للكتاب والسنّة الشريفة في ظروف تعرضت فيها عقيدة الملّة الإسلامية لهزّات عنيفة من قبل المذاهب والفرق الصوفية والكلامية ويوضّح المستشرق الأنجليزي رينولد نيكسون **Nicholson** في كتابه التصوف الإسلامي أنّ الصوفية الأولى تحمل مظاهر الحياة الروحية والتي ظهرت قبل القرن الثالث هجري (Nicholson, 1914, p. 3) والقاعدة عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني تتلخص في العمل بالأصول بهما فلا علم بلا كتاب وسنّة نبيه ولا زهد بلا علم ولا عمل بلا علم، وكل خارج عن هذا الطريق منحرف عن نهج القوم والعلم في نظر الشيخ تجارة رابحة ،ومرتبة جليلة وشريفة ووسام فخر للطالب والمريد، والعلماء خاصّةُ الله ويقول عن العلم:" **فالعلم المنزّل علينا علمان ظاهروباطن لينتج من اجتماعها علم الحقيقة ... وإلا فبجرد علم الظاهر لا تحصل الحقيقة ولا يصل الى القصود والعبادة الكاملة بها** " (الجيلاني، سر االأسرار، 1993، صفحة 47) .

حمل الشيخ عبد القادر الجيلاني أفخم الألقاب العلمية والصوفية كإجازات وشهادات علمية مثل: (تاج العارفين. مُحي الدين، قطب الأقطاب .شيخ الشيوخ،سلطان الأولياء. الباز الأشهب) ويصفه الشيخ أبي مدين شعيب وهو بن الحسن الأندلسي التلمساني من مشاهير السادة الصوفية يعود أصله الى الأندلس سكن بجاية وفاس ،وكثر أتباعه ويعد الرجل الثاني بعد شيخه عبد القادر الجيلاني شهرة وتوفي بتلمسان 594 هـ الموافق ل1197أو98 11م (جوهرى، نوفمبر 2011)عند ملاقاته للسيد خضر"مسألته عن الفرد الأفخم والغوث الأعظم، سيدي عبد القادر فقال: هو إمام الصدّقين وحجّة العارفين وروح المعرفة وشأنه عظيم بين الأولياء"" (النصر، 1895، صفحة 33)وشهادة مثل هذه وغيرها من طلبته و مُريديه وحتّى من جاؤوا بعده تدلّ على رفعت شأنه ، وعلو كعبه تصوفا وعلما وأخلاقا.

يُحيلنا الحديث عن زهد عبد القادر الجيلاني، إلى كراماته ،التي نقلت عنه منذ صغره ، والكرامة ورد ذكرها في الكثير من المصادر الفقهية و الصوفية، وأخذت حيّزا كبيرا من حيث إثباتها أو نفيها شرعيتها أو كذبها، ويتم في الغالب الإستئناس بما نزل به الوحي السماوي لتحقيق اليقين بها والرد على من ينكرها.

حفل القرآن الكريم بما أكرم الله به أنبيائه ورسله من منجزات وهذه شهادة ويليم شيتيك **wiliam chitick** جاء فيها: **" القرآن فريداً من بين كتب العالم المقدسة التي يشدد فيها على أهمية المعرفة والفهم"**. ,Chitick) مايو (2003، وعليه سُخر القرآن في سبيل دعوتهم الى الحقّ وهداية الأقوام الذين بعثوا إليهم كبرهان ودليل على شرعية رسالتهم فإرادة الله أعانتهم لتسهّل له الدعوة والرسالة وقطع الطريق أمام المشككين والرافضين لهم كبرا وعنادا .ومن منظور أهل التصوف تعتبر الكرامة أمر خارق للعادة تظهر على أيدي الصُلحاء .ويقسمونها إلى أقسام: معجزات، والكرامات، والمعونة هذه الأخيرة يدّعيها أهل الدجل والانحراف والشعوذة (مكاحلي، 2018 ، صفحة 133).

في النموذج الجيلاني تتجلّى الكرامات بما تمثله من رمزية لتلك السُّلطة الروحية والاخلاقية والدينية التي تمتع بها الشيخ وتجاوزت زمانه ومكانه ، وإن كان الكثير من مُدّعي التصوف قد حوّلوا مفهوم الولاية إلى مجرد زعامة للمصلحة والانتفاع الدنيوي

ووظّفوا حيّلهم في الاستدراج ،أمّا الشيخ عبد القادر الجيلاني فقد غالى الناس في كراماته وتناقلوها رغم ما اشتهر عنه من علم وزهد وقال عنه الذهبي:" ليس من كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الإمام عبد القادر لكن كثيرا منها لا يصح وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة " (الذهبي، 2004، صفحة 450) .

تُبرز شهادة الذهبي حجم الخرافات والبدع التي اكتسحت المجال الوجداني والذهني لدى قاعدة واسعة من المجتمع الإسلام ومدى الخلط الجائر بين التصوف و تلبيسات إبليس، وفي نفس الوقت تبقى الكرامة جزء من الموروث الديني الإسلامي وعلامة بارزة في الرسالات السماوية السابقة وفي طريق التصوف ومنهجه بعد ذلك.

3. منهج التصوف عند عبدالقادر الجيلاني :

تخلل المنهج الصوفي للشيخ عبدالقادر الجيلاني، الدعوة الربانية والحكمة والموعظة الحسنة ، وهو ما يفرض علينا الإشارة الى حقيقة طريقته ،وتعاليمه من أذكار وأوراد و أداب ويورد صاحب بهجة الأسرار عدّة ألقاب تعكس منهجه وطريقته فهو: بحر الشريعة ،وبحر الحقيقة ،الباز الأشهب، الطراز المذهب قطب بغداد،إمام العارفين، قدوة المتقين (الشطنوفي، 2013، صفحة 36).

أخذ الطريقة عن شيخه أحمد ،ولبس الخرقة الصوفية من يد أبي سعد المبارك اللخمي، كما تذكر بعض المصادر أن الشيخ الجيلاني استفاد من تصوف الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد، عندما زار بغداد توفي 535هـ ، ويذكر أنّ الجيلاني كان يكتب إسناد خرقته لمن يلبسها منه (الشطنوفي، 2013، صفحة 37) ولَبسُها دليل ثمرة الصحبة الحسنة وبلوغ مرتبة المشيخة.

لوصول المريد إلى غايته وقطع أطوار الترقي الروحي والرفعة وبلوغ مرتبة الصفاء عليه (AA(Fenoylle, 2018, p. 2018بطلب العلم الشرعي من أصوله النقية وتمثل أحكامه وقواعده السمحة، ويوصي عبد القادر كل طالب ومريد وهو على أهبة دخول الطريق بالخلوة وبعبادة الله والعزلة عن الخلق، وتلقي علم الظاهر والباطن.

إذا سلك المريد طريق العلم والزهد وفق أحواله ومقاماته يبلغ درجة القرب من الحق تعالى ويفنى في ذاته العليّة "اذا علم صدق محبتك له أحبّك ودلّ قلبك وقرّبك منه"

(الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرّحماني، د.ت، صفحة 153)وهنا نقصد انَ من أهداف هذه الطريقة الصوفية السعي إلى تهذيب النفوس والترقي بها في معارج الصفا والزهد ولا تَخل من "أحوال تعتري المُريدين، يتدرجون خلالها في رحلة من المقامات، تبدأ بالجذب ولا تنتهي إلا بمقام التمكين، وعرّف أهل الطريقة التمكين" بأنه "محبة الله لعبده ويستندون في هذا التعريف على تأويل الحديث الشريف: **"لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنو افل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها"** (الدمشقي، 2000، صفحة 275)وينهي عن سبيل الشيطان الذي يترصّد العالم والعابد بالمجاهدة ومخالفة هوى النفس لتزول الحُجُب بين المريد والله ،فينظر به ما سواه. وإذا وصل لهذا المقام خلع الله عليه لباس الكرامة ويجتبيه بالولاية والتي تعني القرب والنصرة في الدين والتقوى والعمل الصالح والعبودية الكاملة والفقر لله(عبدالخالق، د.ت، صفحة 37)فيحصل له بها الإعانة والسلطنة والملك. وفي سيق ذلك يقول الجيلاني " **يا غلام أطلب هذا المقام وتمنه واجعله همك** " (الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرّحماني، د.ت، صفحة 154).

فالطريق الصوفي الذي يصل بين العبد وربّه عند القادرية بهذا الشكل مدخل لبلوغ عرش السلطة الروحية التي هي عنوان الغنى الدنيوي و الأُخروي، ولن يحصل ذلك إلا بأليات ووسائل في مقدمتها الكرامة التي تضفي الشرعية على ولاية الشيخ، وتفضي الى السّيادة والسّلطة والمُلك، وفي هذا تقارب وتطابق مع السّلطة الزّمنية التي توظّف الشرعية وتبحث عنها لاستمالة قلوب الرّعيّة، والحصول على مباركتها ورضاها ودعمها اتقاء للخطر والفتن والذي يهدد عرشها .

تحصل سُلطة الصوفي من المنظور القادري بعد عبور محطات انتقائية، مؤهِّلة تكشف مدى تمثُّل المُريد وطاعته لقواعد ومبادئ شيخه، كما أنّ السّلطان الرّوحي في مملكة القادرية يتحول نفسه الى حارس لقلبه وتاج لملكه، وخدمه من الملائكة والأرواح يحيط به الأنبياء والرسل، وبالنظر لهذا المسلك والنهج الصوفي، يجدر بأن نقول أن الطريق الصوفي السالك إلى الله كان بديلا عن النظام السياسي الذي ظهر فيه خاصة وأن عبد القادر الجيلاني تربى وكبر في بغداد التي شهدت تعفّن سياسي وصراع عسكري

ونشاط الفرق الباطنية الضّالة والتي قضى عليها السّلاجقة، مع المعاناة من الجوع والفاقة وفطر على نبذ السلطة السياسية و العزلة عن مغرياتها وجاذبيتها.

هناك منظومة أخلاقية وقيمية وصوفية يدور في فلكها الشيخ والمريد تشكل حلقات مترابطة ومتراصّة ترسم حدود مجال المجاهدات و المكاشفات وما يتخللها من أحوال ومقامات، يَسْمُوا فيها العقل ويصفى فيها القلب نحو عالم المثل العليا تنكشف له فيها الحجب "**بخمود الجسم عن اللّذات وخمود النفس عن الشهوات وخمود القلب عن الخطرات وخمود الروح عن اللّحظات وفناء ذلك في ذات الله تعالى" (الجيلاني، د.ت، صفحة 10).**

ينطلق التصوف القادري من طور الشريعة الى طور الطريقة ليصل إلى طور الحقيقة (الجيلاني، د.ت، صفحة 2)و داخل هذا الطريق يمتد مسلك الزاهدين وأصله النفس ومسلك العارفين واصله القلب ومسلك العاشقين وأصله الرّوح والإسلام هذا الإيقاع هو رمز للحياة و قوة حيّة تظهر في كل جانب من جوانب الحياة البشرية. (abdalati, s.d, p. 67)

وضع الجيلاني الشروط و القيود على كل من طرق باب درسته لتلقي الفقه وعلم الطريقة ويذكر الجبائي لذي يعود أصله لإحدى قرى طرابلس بلبنان كان على ديانة المسيحية ودخل الإسلام وعمره 11 سنة ،رحل إلى بغداد وتقرّب من الشيخ الجيلاني وتفقه على يدي، توفي سنة 605هـ أنه التحق به ليأخذ من علمه قال له: " **إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقّه وتجالس الشيوخ وتتأدب فحينئذ يصلح لك الإنقطاع...**" (الشطنوفي، 2013، صفحة 89.)تدلّ هذه الرواية على النظام القادري المفروض على كل مريد انطلاقا من عقيدة صافية ،ثمّ التفقُّه من الكتاب والسّنة ثم الإنقطاع للتصوف وشاع عنه أنّه كان يتصف بالجرأة ويتكلم بلسان الحق أمام السّلاطين والوزراء وكل من عليه تاج ويملك صولة الحكم، مهذبا ،مربيا، ناهيا عن المنكرات داعيا للأخلاق والفضائل ويقول الجيلاني موضحا الأركان التي تقوم عليها طريقته في الدعوة والوعظ " **إن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة**

الصدروسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان" (مليكة، 2013، صفحة 768).

عن طريق أسلوب الوعظ نفذ الشيخ إلى قلوب السّلاطين وأبهر عقولهم ، وقف في وجه الفتن والفرق الضّالة وتاب عليه يديه قطاع الطرق واللصوص وبفضله دخل الكثير من أهل الملل الأخرى الإسلام، ويذكر ابن فضل الله العمري أنّه أسلم على يديه أكثر من خمسمائة، ويروي ابن الجبائي وهو من تلامذته أنّه سمع من شيخه الجيلاني قوله **"أسلم على يدي أكثر من خمسة ألاف من اليهود والنصارى "** (الكيلاني م.، 2006، صفحة 220).

عندما ندقق في سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني سنتوقف عند معالم الطريق الصوفي الذي رسمه في أرض تفوح منها رائحة الفتن والصراعات ،واعتمد أسلوب جديد يقوم على القواعد و الأسس التي كسّر بها النبي محمد قيود الجهل والخرافات داعيا إلى عبادة الله التي حررتهم من جميع أشكال العبودية للمخلوق ،و أعاد لهم سبل الحياة المشروعة مما كانوا عليه وحرموا أنفسهم في ظل مفاهيم أخلاقية وروحية زائفة,nadwi) (2005, p. 33 4.**أسس المنهج الصوفي القادري:**

ـ الدعوة للاستمساك بالقرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بهما :

بذلك يسير الجيلاني على خطى النبي والصحابة ويحث على ذلك بقوله :**"كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة طرْإلى الحقّ عزّوجلّ بجناحي الكتاب والسنة..."** (الجيلاني، سر االأسرار، 1993، صفحة 29)وهذا ما يتطابق مع الحديث النبوي الشريف" ومن يرد به الله خيرا يفقّهه في الدّين ويلهمه رشده" (اسماعيل، 2006، صفحة 30)لأن بهما ينير المسلم دربه بنور العلم ويجتنب الوقع في المحرمات والعالم الذي يجهل رسالة الإسلام سينحرف عن جادة الصواب وسيكون مآله الجهل والضلالة في الدنيا والخسران في الآخرة لدرجة أنّ أصبح المصدران معيارين في التواصل مع الآخرين أو قطع العلاقات معهم .

ـ نبذ الفلسفة والأفكاروالعقائد الضالة :

من أعظم البلايا التي أُبتلي به الإسلام هو تسلل عقائد وديانات أهل البلاد المفتوحة من الفُرس والروم واليونان والهند، واختلاطها بالأفكار الاسلامية، فغيّرت الكثير من العادات والتقاليد، والقيم والأفكار مؤثرة على العقول، خاصة أنّ عصر الجيلاني شهد هذا الواقع الملتبس فكان ضد إسقاط الفرائض وفكرة وحدة الوجود التي وقع في حبائلها الكثير من المتصوفة وكان موقف الشيخ شديد وصارم وكفّر كل من قال بخلق القرآن **"من ردّ على الله عزّوجلّ وجعل القرآن مخلوقا فقد كفر بالله عزّوجل وبرمنه هذا القرآن"** (الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرّحماني، د.ت، صفحة 54).

ـ التركيز على الجانب العملي والسلوكي بدل النظري:

ربَّى الشيخ عبدالقادر طلبته و مريديه على سلوك طريقه و أسس مدرسته على العمل الميداني، من خلال تنقية التصوف من أدران الإنحراف ولم يكن يستغرق في الخُطَب والنُصح والموعظة بل يسعى بالعمل على تطبيقها عبر مؤسستي المدرسة التي ورثها عن الشيخ المخرمي والرباط الذي أسّسه .

ـ تعظيم الذات الإلاهية و إتباع الأوامر واجتناب النواهي:

هذه القاعدة جاء بها كل الأنبياء والرسل في أداء رسالاتهم لأقوامهم يقول الله تعالى:**{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)سورة آل عمران .p ,الآية (104 } ويقول أيضا :**{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (سورة التوبة : الأية 71.).

ـ التأدب مع الله والنفس والشيخ والناس:

يقتضي النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة من المريد التأدّب مع الله من خلال الخضوع لإرادته وعظم الآداب الإخلاص في العبادة لله ومعرفة قدره وحقّه وتجنّب الإشراك به و جاء في كتاب أداب السلوك للشيخ الجيلاني قوله:**" احفظ أبدا أمره و انته أبدا نهيه وسلّم إليه أبدا مقدوره ولا تشركه بشيء من خلقه"** (الجيلاني، أداب السلوك ، 1995، صفحة 60) .والأمر كله معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى

،وللنفس حقّها من الأدب وتقسّم النفس في المنهج القادري إلى أنواع هي :النفس الأمّارة وهي النفس الشهوانية المنهمكة في الملذّات ،العاصية للأوامر والنواهي، والنفس المطمئنة وهي النفس التي تسكن إلى الحقّ وتطمئن به، والنفس المُلهَمَة وهي التي تفعل الخير بإلهام إلاهي (الجيلاني، سر االأسرار، 1993، صفحة 60)، أمّا الشر فتفعله بالاقتضاء الطبيعي .و يجتهد الطالب في تطهيرها من الشهوات لكبح جماحها من الوقوع في مهالك الدنيا، وخصّ الشيخ عبد القادر الجيلاني ذلك بجهادين وهما: الظاهر ضدّ الكفار والمعاندين والباطن بجهاد النفس والهوى والطبع والشيطان (الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرّحماني، د.ت، صفحة 57).

وللشيخ في الطريقة الصوفية مكانة أساسية فهو المرشد والآخذ بيد المريد ولا يصح تصوف إلا بشيخ، وفي عرف أقطاب التصوف تقيّد والتزام السّالكين بمنهج الشيخ، ويرى الجيلاني إلزامية الشيخ لأنّه يمثل الطريق إلى الله والموصل إليه، و هذا ما يعتقده سائر المتصوفة، أمّا الذي ليس له شيخ كان الشيطان له قائدا وشيخا، وبهذا المفهوم يضرب الجيلاني المثل بخَلق أدم الذي تعلّم من ربّه الأسماء كلها ثم كان شيخا للملائكة أجمعين وبعد هبوط للأرض أصبح جبريل شيخا لأدم عليه السلام (زيدان، 1991، صفحة 46) وعليه ينطبق هذا الناموس على سائر الطرق الصوفية.

وِفْقَ النهج القادري على المريد الأخذ من شيخ واحد وأن لا يعتقد فيه العصمة وسنّ الشيخ الجيلاني مجموعة قواعد أخلاقية وتربوية وصوفية ضابطة للعلاقة بين المريد وشيخه وهي :الطاعة الظاهرة والباطنة للشيخ ،التأدّب مع الشيخ ،جهر المريد بأسراره للشيخ، العمل على خدمة الشيخ ، صدق الصحبة ، التحلي بفضيلة الصبر التي تحدث فيه كثيرا الشيخ الجيلاني في مجالسه ومؤلفاته لأهمية مقامه في سلوك الطريق والوصول للحضرة اللاهية .

والأدب مع الغير وضّحه الإسلام وفصّله النّبي عليه الصلاة والسلام فكان خُلُقُه القرآن يصل الأرحام، ويتعامل مع أصحابه بما جاء به الوحي ويتلطف مع معارضيه في المجالس ويعفو عن من اعتدوا عليه من الكفار واليهود فهو النموذج في فكر ومنهج الشيخ عبد القادر الجيلاني، والقارئ لما حفلت به مؤلفات الجيلاني حول الأدب مع

إخوانه نجدها تتمحور حول: الصفح والعفو عن عثراتهم ،التواضع ، ترك الجدل العقيم، التغافل عن مثالبهم وعيوبهم ،محبتهم والرأفة بهم والشفقة عليهم ،القيام بحقوقهم والابتعاد عن ظلمهم، وبهذه الآداب تتضح العلاقة بين المريد والشيخ .

5.أثاره الصوفية :

تعد التجربة الصوفية للشيخ عبد القادر الجيلاني ثرية وزاخرة عبر كل المراحل التي مرّ بها انطلاقا من جيلان موطنه ومبعثه ،ثم بغداد حاضنته ومنشأه وانطلاق شعاع نوره وعلمه في أصقاع الأرض، عانى فيها مرارة الحياة وذاق مشقة طلب العلم، واقتحم دهاليز التصوف فاغترف الصحيح وترك العليل فعرف الحقّ وترفّع عن الباطل وأهله، فكانت يومياته جهاد نفس ضد المنكر والنصح بالخير للناس في المدرسة و الرباط. و أثمرت جهوده القيّمة في تأليف عدة كتب قيّمة تعكس أفكاره الصوفية ومعتقداته كلها في الأصول والفروع وفي الأحوال والمقامات ومن أشهرها: (فالح، 2014، صفحة 47.46)

- إغاثة العارفين وغاية منى الواصلي بأداب السلوك والتوصل إلى الله
- الحزب الكبير .
- الرسالة الغوثية
- الفتح الرباني والفيض الرحماني وهو أحد أشهر كتبه يضم مواعظ الشيخ الجيلاني
- الغُنية لطالبي طريق الحقّ وهو كتاب فيه جزئيين في الأخلاق .
- فُتوُح الغيب .
- معراج لطيف المعاني سر الأسرار في التصوف
- الطريق إلى الله .

.خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة نستنتج :

- بروز شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره الصوفي يعد منعرج حاسم في تاريخ الممارسة الصوفية في العالم الإسلامي .

ـ إن التصوف في العالم الإسلامي، عموما والمغرب خصوصا تأثر بسيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني وبمنهجه ،وبوّأه مكانة مرموقة من بين المتصوفين ،وتأسست العديد من الزوايا والطرق التي تنسب إليه

ـ ساهمت خلفياته الدينية وثقافته الزهدية، في رحلته من جيلان إلى بغداد في تقويم السلوك الصوفي الذي انحرف عن مساره .

ـ ساهم النموذج القادري الجيلاني في إعادة هيكلة ومأسسة التجربة الصوفية وفق أصول الدين بعيدا عن الغلو والدجل و الانحراف .

ـ إنّ سلطة الشيخ أو الولي في الطريقة الصوفية تبقى رمز التواضع و الاعتدال، وربط علاقة روحية بين المخلوق والخالق على أساس الخضوع و الانقياد والتبعية.

ـ استثنائية الممارسة الصوفية التي أقرّها الشيخ عبدالقادر الجيلاني من خلال دعوته للعمل الميداني وابتعاده عن الاستغراق في الفلسفة والكلام والمنطق .

ـ رصيد الشيخ الجيلاني من مؤلفات ورسائل، وأذكار و أدعية تعبّر عن جوهر التصوف القادري وغناه روحا وزهدا .

ـ للشيخ الجيلاني تأثير عميق في تصوف بلاد المغرب عموما وبلاد الجزائر خصوصا ، وهذا يتجلى في انتشار الكثير من الطرق والزوايا الصوفية .

ـ ابتعاد المنهج الجيلاني عن أفكار الدجل والشعوذة والخرافات والسّحر التي طبعت سلوك شيوخ بعض الطرق الصوفية ولازمتهم ، وورثوها لأتباعهم ومريديهم .

ـ إن بعض الممارسات الصوفية لدى من جاؤوا بعد الشيخ الجيلاني من مريدين وشيوخ طبعها الانحراف والدجل والشعوذة والخرافة لا تمت بصلة اليه رغم إدعائهم الانتماء لطريقته.

ـ إنّ سيرة ومنهج الجيلاني يقتضي منا اليوم الأخذ بهما والدعوة لقيم ومثل المحبة والسلام والأخوة وتوطيد أواصر التعاون والتضامن بين دول العالم الإسلامي .

ـ يحتاج العالم الإسلامي اليوم إلى إعادة احياء شخصية الشيخ الجيلاني، و الاستفادة من علمها ، ومنهجها وسيرتها، خاصة في ظل استفحال لظواهر سلبية وخطيرة مست العقيدة الإسلامية ،التطرف والإرهاب .

ـ إن الصلة الروحانية التي وطدها الشيخ الجيلاني تعكس صفاء العقيدة ، وسمو الأخلاق ،وإخلاص الأعمال والعبادات وهو ما نستشفه من أثار ومؤلفات الشيخ و مريديه .

المصادروالمراجع:

القرآن الكريم .

ـأحمد بن تيمية. (2004). *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*. لمدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة على المصحف الشريف.

البخاري محمد بن اسماعيل. (2006). *صحيح البخاري* (المجلد 1). دمشق: دار بن لكثير.

السيد حسنين أبي النصر. (1895). *: الشجرة الزكية في مناقب السادة البازية والرفاعية والقادرية ، مخطوط ، ،*، (المجلد د.ط). مطبوعات الداخلية .

بن رية مليكة. (جنفي, 2013). الشيخ عبدالقادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ومنهجه في إصلاح التصوف. (3)، 768.

بوعلام جوهرى. (نوفمبر 2011). القطب سيدي أبو مدين شعيب بين حاضرتي بجاية وتلمسان . تأليف بوعلام جوهرى (المحرر).

جمال الدين فالح الكيلاني. (2014). *جغرافيا الباز الأشهب ، قراءة ثنية في سيرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني* (المجلد ط4). المنظمة المغربية للنشر والتوزيع .

شمس الدين الذهبي. (2004). *كتاب سير أعلا النبلا ء*. الأردن : شركة بيت الأفكار الدولية.

عبد الرزاق الكيلاني. (1994). *الإمام عبدالرزاق الجيلاني الإ الزاهد القدوة*. بيروت: دار القلم.

عبدالرحمان عبدالخالق. (د.ت). *الفكر الصوفي في ضوءالكتاب والسنة* (المجلد ط2). الكويت : مكتبة ابن تيمية .

عبدالقادر الجيلاني. (1993). *سر االأسرار* (المجلد د.ط). دمشق: دار ابن القيم ودار السنابل.

عبدالقادر الجيلاني. (1995). أداب السلوك . تأليف آداب السلوك. دمشق: دار السنابل.

عبدالقادر الجيلاني. (د.ت).

عبدالقادر الجيلاني. (د.ت). *الفتح الرباني والفيض الرّحماني* (المجلد د.ط). د.م.ن: مكتبة الثقافة الدينية .

علي بن يوسف الشطنوفي. (2013). *بهجة الأسرار ومعدن الانوار في مناقب الباز الأشهب الشيخ عبدالقادر الجيلاني* (المجلد 3). المغرب، فاس : المنظمة المغربية للثقافة والتربية والعلوم.

ماجد عرسان كامل الكيلاني. (2006). *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس* (المجلد ط3). الإمارات العربية المتحدة،بيروت: دار القلم للنشر والتوزيع.

محمد العريفي. (1430). *موقف //ابن تيمية من الصوفية* (المجلد 1). الرياض: مكتبة دار المنهاج.

محمد طه زيدان. (1991). *.: الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصرت* (المجلد ط1). دار الجيل: دار الجيل.

محمد مكاحلي. (2018). *سيدي بلعباس البوزيدي ولي وولاية ،دراسة تاريخية انثربولوجية* (المجلد د.ط). ،وهران: دار القدس العربي.

Achulhoob, f. i. (s.d). *The book of manners*. Montereal ,canada: Dar assalam.

Chitick, W. (مايو 2003). Mystique in islam. *A lecture delivered at the David M. Kennedy Center forInternational Studies, Brigham Young University*, (p. 6).

Fenoylle, M. d. (2018). propos de soufis,mstique musulmane et exersices spirituels de saint ignac. *Archivo teologico granadino*, p. 17.

Field, :. C. (2008). *Mystics and Saints of Islam, by Claud Field.* london: EBook. *–https://shamela.ws/index.php/author/1759* . (s.d.).

nadwi, S. a. (2005). *islam and the world* (Vol. s.éd). UK ISLAMIC ACADEMY.

Nicholson, b. R. (1914). *THE MYSTICS OF ISLAM.* London: G.R.S.MEAD.

abdalati, H. (s.d). *isam in focus* (Vol. s.éd).

https://shamela.ws/index.php/author/1759 . (s.d.)